من وحى

المولد النبوى

لسماحة الأستاذ السيد محمد علوان

... فى موكب النور ، فى الليلة الخالدة ، ليلة ذكرى مولد الرسول الأعظم ، بين أكبر مجتمع صوفى ، وبحضور صفوة المجتمع العربى الإسلامى ، وأمام السيد عباس رضوان وزير الداخلية ونائب السيد رئيس الجمهورية ، فى الحفل الرسمي ، للمولد النبوى ، وقف سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ليلقى القصة النبوية ، فى ليلة الذكرى الخالدة .

وبكلمات من هدى ونور ، وبصوت قوى معبر ، وفى حماس ثائر مشتعل ، راح سماحته يتدفق ويحلق ويرسم لألوف المجتمعين ، الأفق الأعلى للدعوة الإسلامية ، والوجه الأكمل للرسالة الصوفية والمبادىء المثالية العالية التى جاء بها صاحب الذكرى ، المبادىء التى كادت مصابيحها تنطفىء فى الأفقين العربى والإسلامى ، حتى بزغ فجر الثورة المصرية المباركة ، فعادت المصابيح تشتعل وتلق بأنوارها ، وعادت الأمة العربية إلى طريقها الصاعد المضىء ، بقيادة بطلها الموفق المنتصر الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى التقت واستيقظت على هدير صوته أحلام العروبة والإسلام ، وهب الصوفية فى كل مكان يحملون ألويته ، ويتقدمون موكب زحفه ، ويبايعونه على الجهاد والفداء .

وإليك أيها القارىء الكريم ، النص الكامل لهذا الخطاب العظيم ...

باسمك ربنا وبحمدك ، تلقى الروح من أمرك ، على من تشاء من عبادك ، وتصطفى من الملائكة ومن الناس رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة . ثم اصطفيت من النور نورا ، واخترت من الرسل رسولا ، جعلت رسالته للكون كله ، الأسود والأحمر ، والجن والإنس ، وأخذت له من أنبيائك ميثاقا وعهدا ، ليؤمن به فتؤمن به أممهم بالتبعية .

وبذلك كان رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، رسولا للأولين وللآخرين .

ثم أنزلت سبحانك ملائكتك المطهرين مردفين ، ليقاتلوا تحت رايته ويسيروا فى موكبه ، فجعلت له الزعامة والقيادة فى الكونين ، وفى العالمين ، المنظور وغير المنظور . ثم كرمته

وفضلته فخصصته بالشرف الأعلى والمقام الأسمى ، فجعلته رحمة فى الدنيا يهدى إلى الحق والخير ، وإلى الحب والبر ، وإلى سعادة الدارين وعزة الحياتين . ورحمة عظمى فى الآخرة ، يوم الفزع الأكبر ، يوم يقول كل نبى نفسى نفسى ، ويقول نبينا أنا لها ، أنا لها فيشفع بإذنك ، والملك من ورائه صفا صفا ، حتى يدخل الجنة كل من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان تباركت ربنا وجل جلالك ، لا نستطيع أن نحصى ثناء عليك فلنسجد حمدا وشكرا فى يوم الذكرى . ذكرى مولد الهادى المصطفى ، الذى كرمتنا به وهديتنا ، وجعلتنا خلفاء رسالته ، وأمناء دعوته وحفظة قرآنه .

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » تلك آية العروبة فى كتاب الله ، فنحن العرب شعب محمد رسول الله ، هو منا ونحن منه ، طهرنا الله به وزكانا ، وعلمنا به الكتاب والحكمة ، وأسلمنا الدعوة والرسالة ، وجعلنا أمة وسطا لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدا .

نحن العرب أمة القرآن ، بلساننا آمن الناس واهتدوا وعرفوا ربهم واتقوا ، وبلساننا يحفظ الكتاب حتى يتم نور الله ، والله متم نوره .

وبهذا الكتاب المقدس الخالد ، الذى جاء به جبريل الأمين ، بلسان عربى مبين ، أصبحت العربية لغة الهدى والنور فى الكون كله ، بل اللغة العالمية الربانية ، التى لا يتم الإيمان إلا بها ، ولا يعرف دين الله ، إلا بحرسها ولحنها .

ومشت العروبة مع الكتاب ، تمثله وتحمله ، وتدعو إليه وتبشر به ، فأصبحت العروبة بالقرآن رسالة ، وغدت العروبة بالرسول محجة ومنارة يلوز بها دعاة الحق والإيمان ويعتصم بها الهداة فى كل زمان ومكان .

لم تعد العروبة بعد أن جاء الوحى بقرآنها وفرقانها ، عصبية خاصة أو جنسية منعزلة ، إنها رسالة عامة ، رسالة الربانيين كافة ، رسالة حماة السلام والإيمان والكمال الإنسانى .

يفخر رجل عربى على أحد الموالى فيغضب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ويهتف « ليست العربية بأم أحدكم ولا بأبيه ، كل من تكلم العربية فهو عربى » .

تلك هى الرسالة العظمى ، التى يجب أن تعيش لها الأمـــة العربية وتذكرها ، فى يوم الذكرى ، يوم مولد النبى العربى العالمى . رسالة توجه الحياة وتشرف عليها ، رسالة سلام وإخاء ، وايمان بالله وبرسله .

سيدى يا رسول الله :

يتغنى اليوم ، دعاة الاستعمار ، وأعوان الاستغلال والاحتكار ، الذين قسموا البشرية ألواناوأجناسا وقارات وشعوبا . يتغنوا بأنهم أحباء الديمقراطية وكهانها وأربابها ويملأون الآفاق هتافا وصياحا ، بأنهم وحدهم الذين تنادوا بالحقوق الإنسانية ، وبشروا بالمبادىء الديمقراطية ، وابتدعوا التعـــاون والتكافل ، وأطلقوا صيحة الحرية والمساواة ـــ يتنادون بكل هذا ، بينما أقلامهم تسخر من الرجل الأسود والأصفر وجيوشهم تريق دماء الأطهار وتستعبد أرض الأحرار ، وتنشر الفساد والرشوة والخيانة والشهوة فى البر والبحر .

أين مبادئهم يا رسول الله الزائفة الخادعة الكاذبة من مبادئك المخلصة الطاهرة الصادقة . لقد جئت يارسول الله بالحنيفة السمحاء ، والمحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ليس فيها إبهام ولا خفاء لم تطلق قولا زائفا خادعا لتستهدف غيره ، ولم تصطنع وجها لتستر سواه ولم تستعبد شعبا ، ولم تحتقر لونا ، ولم تسفك دماء ، ولم تهدر حقا ، ولم تعن على بغى ، ولم تحالف على إثم ، ولم تشرد شعبا ، ولم تجند أمما لتستبيح دماء الولدان والنساء ، العزل الضعفاء .

لقد ناديت يا رسول الله بالحرية وأعطيتها للناس كافة ، وجعلت الإنسان عبدا لله وحده ، فكل مساس بحريته هو مساس بعقيدته ، هو مســـاس بالتوحيد ، هو شرك ومروق من دين الله .

حتى الرياء يارسول الله ، جعلته من الشرك الخفى ، لأنه نفاق والحر لا ينافق ، حتى الاعتماد على غير الله شرك ، والخوف من غير الله شرك ، والخضوع لغير الله شرك .

إن المؤمن فى دينك يا رسول الله هو الحر ، حرية كاملة شاملة قد تحرر وجدانا وضميرا ، وعاطفة وخلقا ، كما تحرر قولا وعقيده وعملا .

وبذلك أعطيت للحرية معان سامية عالية ، أسمى من كل معنى تغنى به المتغنون المنافقون .

وأعطيت للإنسانية كافة الأخاء والمساواة بأوسع ما تتبع له معان الأخاء والمساواة . فتساوى تحت لوائك ، هامات قـــريش وصناديد الجزيرة بموالى الفرس ، والروم ، والسودان ، والحبشة .

بل لقد قدمت سلمان الفارسى . وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، على أبى سفيان سيد مكة لأن التفاضل لديك بالتقوى وبالعمل الصالح ، لا بالألوان والأجناس والمقامات والطبقات .

إنه إخاء يدعو إليه الدين : فالناس جميعاً لأب وأم ، ولا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا يتقدم أبيض على أسود ، ولا يفخر عربى على عجمى ، فإنه لا ينادى بنداء الفخر الجاهلى ، إلا وثنى ، لا يعرف الله ، ولا يعرف رسول الله .

وجئت بالعدالة المطلقة يا رسول الله حتى لقد أمرت القـــاضى بأن يساوى فى ابتسامة وجهه ورحابة صدره ولين قوله بين المتقاضين ، فإن لم يفعل فقد ظلم ، والظلم يهوى بصاحبه إلى النار. العدالة أنت إمامها يا رسول الله ، وأنت منقذها وحاميها حتى لتسوى بين الصفوف فى يوم بدر فتدفع بالسواك فى صدر « سواد » قائلا : « استقم يا سواد » فيقول سواد آلمتنى يارسول الله وقد بعثك الله بالإنصاف فأقدنى من نفسك ، فتكشف عن صدرك وتقول فى رحابة النبوة ، وسماحة الرسالة استقد يا سواد .

أى عظمة يا رسول الله ، وأى خلق ، وأى مبادىء جئت بها ، حتى الخصوم يا رسول الله ، أمرتنا بالعدل معهم : « لا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقوى.

تلك قبسات من المبادئ الإنسانية العالية التى جئت بها ، حرية لا تتجزأ ، وعـــدالة لا تنحرف ، دمقراطية لاتجنح إلى هوى ، ومساواة لاتعرف لوناً أو جنساً .

سيدى يا رسول الله :

لقد تضاءل أمام منبرك المتواضع فى المدينة ، عرش كسرى فى المدائن ، وجبروت قيصر فى روما . لم تنتصر يا رسول الله بالسيف ولا بالعنف ، بل انتصرت بكتابك وبأخلاقك ، انتصرت بمبادئك وبإيمانك ، انتصرت لأنك حملت فى يمينك نور الله وهداه ،

وقدمت للإنسانية شريعته ورحمته ، وسموت بالإنسان فوق إنسانيته وبشريته — انتصرت يارسول الله بالمحبة فأحببت الله وبحبه أحببت الكون كله وبحبه أحبك الناس. وجعلت الحب فى الله سبيلا إلى الجنة ، وطريقاً إلى التعاون والوحدة « فما تحابا اثنان إلا كان أحبهما لصاحبه أحبهما إلى الله » .

وبهذا الحب الشامل تراحم الناس وتوادوا وتعاملوا فأحب الناس إلى الله أحبهم لعباده ، ورحم الله أمرأ سهل البيع ، سهل الشراء سهل القضاء ، سهل الاقتضاء .

وعلى هذا الحب أقمت يارسول الله لأول مرة فى التاريخ مجتمعاً اشتراكياً تعاونياً ، قد زالت بينهما الفروق والحدود وأسست دعائمه على الحب والتقوى — مجتمعاً اشتراكياً تعاونياً ، يؤمن بالعلم والعمل إيمانه بالأخلاق وبالروح فطلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما يخشى الله من عباده العلماء ،

والعمل فى دينك يارسول الله هو العبادة وهو الجهاد وهو الحياة فطريق الدنيا لديك هو طريق الآخرة وكل عمل فى الدنيا هو زاد للآخرة .

وحسب الإنسانية أن تستمع إلى قولك الخالد فى الدعوة إلى العمل وعدم التواكل .

« إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

سيدى يا رسول الله :

لقد أحبك المؤمنون حباً يسبق حب المال والحياة ، وأحبك المتصوفة حباً فوق هذا الحب . أحبوك لأنك رسول الله وأحبوك لأنك مثلهم الأعلى فى الحياة وأحبوك لأنهم عاشوا بوجدانهم وبوجدهم معك وأنت تحلق فى الأفق الأعلى وترى من آيات ربك الكبرى وأحبوك لأنهم تذوقوا بقلوبهم وبأشواقهم ، الإشراقات والفيوضات والإلهامات ، والمشاهد النورانية الربانية ، التى عرجت إلى سمواتها وعشت فى رحابها .

ثم أحبوك حب الأبوة الروحية ، فمنك تلقوا عهدهم وميراثهم ، وعنك اقتبسوا مناهجهم وأذواقهم فأنت يا رسول الله . مربى قلوبهم وملهم عقولهم ، وراسم الطريق لهم .

أخذوا أخلاقهم من أخلاقك ، وصاغو عبادتهم على مثالك ، وترسموا

خطوك ، وتتبعوا نهجك وتمسكوا بعهدك وميثاقك . لقد جئت يا رسول الله بالصرات المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه - والصراط المستقيم ، هو الطريق المستقيم هو الطريق الروحى المضيء ، الطريق الصوفى الذى رسمته يا رسول الله لتربط القلب المخبت بالله ، وتصعد بالخلق الإنسانى إلى الخلق الإلهى .

لقد تخلقت يا رسول الله بهذا الخلق ، فأصبحت الصفات الإلهية خلقك ، وعنك أخذ المتصوفة هذا الكمال الأعلى فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بآدابه ، اقتداء بك وميراثاً عنك — وهذا ارتفاع بالإنسانية ، عجزت الرسالات كافة عن الوفاء به ، والدنو منه حتى نهضت أنت صلوات الله وسلامه عليك لتتم مكارم الأخلاق فتمت بك وتمثلت فيك ، ثم خلفك الصوفية عليها ، فتذوقوها وعاشوها ، وبهم وفيهم تحققت الغاية من الخلق ، وبهم وفيهم عاشت آيات الكتاب المقدس

فكل خلق من أخلاقهم تشرح آية ، وكل حركة من حركاتهم تتلألأ عليها كلمات الله وروح منه .

ذلك هو التصوف بداية ونهاية ، ارتباط بالله ورسوله ، وتخلق بأخلاق الله ورسوله ، إنه ارتفاع بالنفس إلى عالم القدس ، إنه السراط المستقيم ، إنه إيجاد رابطة روحية قدسية بين الإنسان والرسول والله ، رابطة ذوقية وجدانية ، يمثلها ويصورها لنا الحديث القدسى عن رب العزة : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه . وإن تقرب إلى شبراً تقربت منه زراعاً وإن تقرب إلى زراعاً تقربت منه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة .

هذا هو التصوف ذوقا وسلوكا ، صلة بين العبد وربه وصراط مستقيم ، له بداية ونهاية وبين البداية والنهاية أحوال ومقامات وأذواق ، ومشاهدات وهبات ، وفيوضات ، وإشراقات ومجاهدات .

ومن هذا الأفق الأعلى ، اقتبست المتصوفة موقفهم من الحياة ، أنهم الأعزاء الأباة أبدا الأحرار المجاهدون حقاً .

إنهم لفوق الرغباب والنزوات والشهوات ، لا يزلهم طمع ، ولا يسترقهم خوف ولا ينال منهم قوة

من قوى الأرض ، إنهم الدعاة الذين يأخذون بنواصى الخلق إلى الله .

إنهم المبشرون المؤمنون بالحب والأخاء والتعاون، والتكافل والتضامن والتواصى بالحق والاعتصام بالصبر والتعامل بالمرحمة ، أنهم المعتصمون بالكتاب والسنة القائمون على أسوارهما وأنوارهما .

إنهم أصحاب العزمات فى العبادات وأرباب الكمال فى الأخلاقيات ، إنهم الناس يوم الفزع، وأهل الحقائق عند الشدائد والمحن .

هذا هو التصوف الذى ترك ظله وطابعه وشخصيته ، على المجتمع العربى وشكل ملامح التفكير الإسلامى .

هذا هو التصوف الذى عصم المجتمعات الإسلامية من التفكك ، وصان الخلق العربى من التحلل وقام على أسوار الإسلام والعروبة ، مجاهداً فى ميادين القتال ، جهاده فى ميادين الروح والأخلاق .

هذا هو التصوف، الحصن الروحى الأشم الذى يلوذ به المؤمنون وتتكسر على أبوابه صيحات الإلحاد والمروق ، وأمواج الانحلال والانحراف .

التصوف الذى كان وحده مصدر الإشعاع والإلهام والحياة للعروبة الإسلام قروناً وأحقاباً ، التصوف الذى قامت طرقه مقام الجامعات والمعاهد فى التربية والتعليم ، العقلى . والروحى والخلقى .

التصوف الذى تحمى طرقه الآن وحدها ، فى قطعات ضخمة من مجتمعاتنا ، قامت فيها مقام القانون ومقام القوة الرادعة .

التصوف الذى ربط قلوب الملايين بأخوة الطريق ووحدة الشعور والتفكير فأوجد أكبر قاعدة للوحدة العامة ، بين أجزاء الوطن الإسلامى .

التصوف الذى أنجب للإسلام والعروبة أكبر رواد المثل الأعلى وأعظم أئمة الأخلاق فى الدنيا ، بل صاغ لهما أكبر القوى الروحية فى الوجود .

التصوف الذى يقوم اليوم بدوره الإيجابى الكبير فى بناء صروحنا الخلقية والإيمانية والوطنية وفى إيجاد المثل العليا الروحية التى تسهم فى إبراز الشخصية النامية المتكاملة للقومية العربية .

التصوف الذى يقف اليوم فى يوم الذكرى ، ذكرى مولد رسوله وإمامه وقائده الأعلى، مجددا عهده وميثاقه على

مواصلة رسالته ودعوته حتى يتم نور الله ويسود الكون كله .

أيها السادة :

إن اليوم يوم الذكرى ، فلنتجه بقلوبنا إلى صاحبها صلوات الله وسلامه عليه ، ولنملأ أرواحنا عزما وإيمانا وتصميما ، على أن نعيش كما يحب الله ورسوله أحراراً وأعزة أقوياء برسالتنا هداة بدعوتنا منيبين إلى الله بقلوبنا وأعمالنا .

إنه يوم الذكرى أخلد الذكرى ، يوم أشرقت الأرض بنور ربها ، وحلقت الملائكة زمرا فوق مكة وهضابها ، هناك فى ذلك المكان المقدس الطاهر فى بيت عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى فى فجر يوم الإثنين لإثنتى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى عام الفيـــل ، شرف الله الإنسانية وكرمها ، فوهبها من فيض نوره وجوده ورحمته ، صفوة خلق الله أجمعين ، وسيد الأنبياء والمرسلين المختار المصطفى ، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

إنها الذكرى الكبرى ، ذكرى مولد الأمة العربية العظمى ، مولد الرسالة الإسلامية وفجر الدعوة القرآنية

أيها السادة :

لقد ظن المرجفون الذين لا يؤمنون بأيام الله ، أن الأمة العربية قد مضت أيامها ، وأن الفكرة الإسلامية قد خبا ضوؤها .

وجاء أمر الله حاسما قاهرا ، فما كان الله ليدع رسالته تتبدد فى الأرض ، وما كان للشعب العربى الذى حمل الرسالة أن يذهب مع الريح .

جاء أمر الله حاسما مبينا ، جاء مع فجر ٢٣ يوليو ، جاء ليعيد لأرض الرسالات والنبوات رسالتها ومجدها .

جاء جمال عبد الناصر ليقود الأمة العربية على خطو الوحدة القرآنية وعلى ضوء الرسالة المحمدية .

جاء ليخلق من ضعف قوة ، ومن تمزق وحدة ، ومن يأس أمل ومن بقعة ذليلة مستعبده أرضا للأحرار وفقا للإيمان والأخلاق .

وهنا من تلك البقعة الطاهره ، التى شرفت بإحياء مولد الرسول . . . هنا حيث رضوان الله ورحمته وملائكته يحفون بالمحتفلين بسيد المرسلين .

هنا حيث يجاب الدعاء ببركة الرسول وذكرى الرسول ، نتجه إلى الله ضارعين خاشعين أن يعيد للإسلام

أيامه ، وللعروبة أمجادها .

وأن يمن على زعيمنا العربي المجاهد الرئيس جمال عبد الناصر بتأييده ونصره وتوفيقه حتى يبلغ بالأمة العربية ما أوجب لها القرآن وما أحب لها الرسول .

السيد نائب الرئيس:

أرجوا أن ترفعوا للسيد الرئيس أن رجال الطرق الصوفية ، وهم القوة الروحية العالمية ، وهم طليعة الفكرة العربية ورواداها ، ودعاة أخوتها ووحدتها وحراس أخلاقها وروحها ، لينتهزون هذه الفرصة المباركة الخالده ليجددوا العهد والميثاق للزعيم العربي الكبير على الجهاد والفداء في سبيل الإسلام والعروبة ، وفي سبيل الخير والحرية والسلام للناس كافة ، حتى تتم كلمات الله ، وينتفي من وجه الحياة صيحات الافل والالحاد وظلمات الشك والارتياب ودمدمات التخريب والدمار .

وتبارك الذى أنزل على عبده الفرقان ، ليكون للعالمين نذيرا .

وصلوات الله وسلامه وبركاته على صاحب الذكرى نبي الرحمة ، وإمام الهدى ؟